﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ [التّوبة: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بينَ بواعث تأديب الظّالمين مِن أهل الكتاب، وبينَ مقولاتهمُ المشركةِ بالله سِواه

لـمَّا أمَرَ اللهُ ﷻ بقِتالِ المعتدين مِنَ اليهودِ والنَّصارَى، وَوَصَفَهُمْ بالأوصافِ الباعِثَةِ على ذلك القِتالِ في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ عطَفَ عليه بعضَ مقالاتِهِمُ المُهَيِّجَةِ للمُؤْمِنينَ الذين يغارونَ لربِّهم سبحانَه ولدينِهِ على قِتالِهم وبذْلِ الوُسْعِ في ذلك، فقال سبحانَه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾[1].

ولـمَّا حكم اللهُ في الآية السَّابقة على أهل الكتاب بأنَّهم لا يؤمنون باللهِ، جاءت هذه الآية لإقامة الدَّليل على ذلك؛ فذكرت هذه الآية أنَّ اليهود والنَّصارى ادَّعَوا للهِ الولدَ، بقولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾، ومن فعل ذلك فهو في الحقيقة غير مؤمن باللهِ.

ومن المناسبة أيضًا: أنّه لـمَّا تكلَّمتِ الآيةُ السَّابقة عنِ المشركين، وما يتعلَّق بهم مِن أحكام، بيَّنَ اللهُ تعالى في هذه الآية لحاقَ اليهودِ والنَّصارى بهم؛ لأنَّهم اشتركوا معهم في الشِّرك، وإنِ اختلفت طُرقُه؛ فلا فرق بينَ عابد وَثَنٍ وصنمٍ، وبين عابدٍ للمسيح عليه السلام؛ فالكلُّ شِرْكٌ.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/437، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 334.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: (الميمُ والسِّينُ والحاء): تدُلُّ تصريفاتُها على معنى إمْرارِ شيءٍ على شَيْءٍ بَسْطًا[1]، ويُطْلَقُ المسْحُ على إزالَةِ الأثَرِ[2]، ومنه قولُهُمْ للمريض: مسحَ اللّهُ تعالى ما بك، أي: أَزالَ عنكَ المرضَ[3]، والمَسيحُ في قول اللهِ ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة: 30]، هو عيسَى ابنُ مَرْيَمَ ﷺ، سُمِّيَ بذلك لأنَّه كان لا يَمْسَحُ على ذي عاهَةٍ إلَّا بَرِئَ بإذْنِ اللهِ تعالى[4]، وذُكِرَ في سببِ تَسْميَتِهِ بذلك أَقْوالٌ عديدَةٌ[5].

2) ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: (الضَّادُ والهاءُ والياءُ): تدورُ اشْتِقاقاتُها على معنى مشابَهَةِ شيءٍ لشيءٍ[6]، أو هي: خُلُوُّ الشَّيءِ عمَّا يتميَّزُ به عن غَيْرِه، ثُمَّ استُعْمِلَ في معنى المشابهَةِ؛ لكونِ ذلكَ لازمًا لعَدَمِ التَّمْييزِ[7]، ومنه: قولُ النَّبيِّ ﷺ: «أَشَدُّ النّاسِ عَذابًا يَوْمَ القيامَةِ الَّذينَ يُضاهونَ بِخَلْقِ اللّه»[8]، ومعناهُ: يُعارِضونَهُ، ويُشَبِّهونَ أَنْفُسَهُمْ باللّهِ تعالى في صُنْعِها أو صَنْعَتِهِمْ لَها[9]، والمُضاهاةُ في قول اللهِ ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾، بمعنى: المُشابَهَةِ والمُحاكاةِ.

3) ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾: (القاف والتَّاء واللَّامُ): تدُلُّ تَصاريفُها على معنى الإذْلالِ والإماتَةِ[10]، ومن الثَّاني: القَتْلُ؛ وهو إزْهاقُ النَّفْسِ، ومِنَ الأوَّلِ على جِهَةِ الاستعارةِ قولُهُم: قتَلَ المسألَةَ بحْثًا؛ إذا استَوْعَبَها، كأنَّه ذلَّل كلَّ ما فيها مِنْ مُعْضِلاتٍ وألغازٍ[11]، وقولُهُ: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى: لَعَنَهُمْ، وليس مِنَ القتالِ الذي هو المحاربَةُ[12]، والمُرادُ: أنَّهم صاروا بمنزلَةِ مَنْ يُحارِبُ اللّهَ تعالى، ومَن قاتَلَ اللّهَ فهو مَقْتولٌ، ومَن غالبَهُ فهوَ مغلوبٌ[13].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مسح).
(2) الرَّاغب، المفردات: (مسح).
(3) الخليل، العين: (مسح).
(4) الأنباريّ، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس: 1/388.
(5) اليَفُرَني، الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب: 1/242.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ضهي).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (ضهأ).
(8) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، برقم: (5954)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2107).
(9) ابن قُرْقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار: (ضه).
(10) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قتل).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (قتل).
(12) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (قتل).
(13) الرَّاغب، المفردات: (قتل).

4) ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾: (الهمزَةُ والفاءُ والكافُ): تدورُ اشتقاقاتُها على معنى قَلْبِ شيْءٍ وصَرْفِهِ عَن وَجْهِه[1]، ومنه قولُهُم: أَفَكَهُ عَنِ الشَّيءِ، بمعنى: صرَفَهُ وقلَبَهُ وغيَّر وِجْهَتَهُ إليه[2]، وقولُ اللهِ تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ معناهُ: مِن أَيْنَ يُصْرَفونَ عَنِ الحَقِّ؟![3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استنكارُ مشابهةِ أهلِ الكتابِ للمُشركين، وتقريعُهم على زَعْمِهم بُنُوَّة عُزَيرٍ والمسيحِ لله

بيَّن اللهُ في هذه الآية أنَّ اليهود أشركوا باللهِ عزَّ جلَّ، عندما زَعَموا أنَّ عُزَيْرًا ابنٌ للّه تعالى، وأشْرَكَ النَّصارَى عندما ادَّعَوا أنَّ المسيحَ عيسَى ابنٌ للّه سبحانَه، وهذه المقالَةُ اختلَقوها مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهم، لا بُرْهانَ لهم عليها، وهم بذلكَ يُحاكونَ قولَ المُشْرِكينَ قبلهم، الزَّاعمينَ أنَّ الملائكَةَ بناتُ اللهِ سبحانَه، قاتَلَ اللهُ المُشْرِكينَ كُلَّهُمْ وأَهْلَكَهُمْ، كيفَ يَعْدِلونَ عَنِ الحقِّ ويُصْرَفونَ عنه إلى الباطِلِ؟![4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ (الواوِ) في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾:

انْخِراطُ أَهْلِ الكِتابِ في سِلْكِ أَهْلِ الشِّرْكِ، سفاهةٌ منهم وضلالةٌ

الواوُ في قول اللهِ ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾، عاطفَةٌ ما بَعْدها على جملَةِ: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾، والتَّقديرُ: قاتلوا أهلَ الكتاب؛ لأنَّهم كفروا بما وصفناهم به، وقالتِ اليهودُ مِنهُم: عُزيرٌ ابن اللهِ! وقالتِ النَّصارى مِنْهُم: المسيحُ ابنُ اللهِ! تَشْنيعًا على قائلِ ذلكَ مِن أهلِ الكتابِ، بأنَّهم قَدْ بلَغوا الغايَةَ في الكُفْرِ، حتَّى اسْتَوَوْا في كُفْرِهِمْ مَعَ المُشْرِكينَ[5]. ويجوزُ أَنْ تكونَ الواوُ اسْتِئنافيَّةً، والجملَةُ بعْدَها مبتدأَةً، سِيقَتْ لتقريرِ ما تقدَّم ذِكْرُهُ، مِن عَدَمِ إيمانِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أفك).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (أفك).
(3) ابن الجوزيّ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ص: 137.
(4) نخبة من العلماء، التَّفسير الميسَّر، ص: 191.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/167.

أهلِ الكِتابِ باللّهِ ﷻ، وانْخراطِهم بذلك في سِلْكِ أهلِ الشِّرْكِ[1]، وعلى ذلك تكون هذه الآية مُبَيِّنَةً لحالهم، بأنَّهم بمنزلة المشركين في الشِّرك.

سِرُّ التَّعبير بـ (القول) دون غيره:

في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى﴾، أُوْثِرَ التَّعبيرُ بلفظ: ﴿وَقَالَتِ﴾ دونَ غيره؛ لأنَّه أعمُّ، فيُقال: للمُتَصَوَّر في النَّفس قبلَ الإبراز باللَّفظ، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: 8]، فجَعَل حديثَ النَّفس قولًا، ويُقال للاعتقاد نحو: (فلانٌ يقول بقول أبي حنيفة)، ويقال: للدّلالة على الشَّيء، ويقال: للعناية الصَّادقة بالشَّيء، إلى غير ذلك مِنَ المعاني التي ذكرها الرَّاغب في مفرداته، وكلُّها مناسبةٌ لسياق الآية؛ فقول اليهود والنَّصارى قبل الإعلان باللَّفظ كان حديثًا في النَّفس، ثمَّ تَحوَّل ذلك إلى اعتقاد، وحاولوا إقامةَ الدَّليل عليه، وبذلوا من أسباب العناية للحفاظ على زَعْمِهم الكَثيرَ والكَثيرَ، مِن أجل صِحَّة اعتقاد قولهم.

كلُّ قولٍ ينكرُه العقلُ، ويخالفُهُ الوحيُ، فهو باطلٌ وضلالٌ

دلالَةُ إسناد القول إلى عموم اليهود:

نُسِبَ القولُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ إلى عمومِ اليهودِ، مع أنَّ قائِلَ هذا القولِ جَماعَةٌ، أو واحدٌ مِنْهُم، وإنَّما أُسْنِدَ القولُ إلى الجميعِ تجوُّزًا، كما تقولُ العرَبُ: (فلانٌ يَرْكَبُ الخيولَ)، وقد لا يكون له إلَّا فرسٌ واحدةٌ[2]، فهو مجازٌ مُرْسَلٌ، علاقَتُهُ: العموميَّةُ؛ إذْ أُطْلِقَ اللَّفْظُ العامُّ، وأُريدَ بعضُ أفرادِهِ. ويَجوزُ أن يكون نُسِبَ القولُ إلى جميعِهم، معَ أنَّ القائلَ بعضُهُم؛ لكونِ هذا القولِ فَشا فيهم، ولَمْ يُنْكِروهُ على قائلِهِ، فكانوا بمنزلَةِ مَن قالَهُ.

التَّقاعُسُ عنْ إنكارِ الأَقْوالِ الباطِلَةِ، هو بِمَنْزِلَةِ قولها واعْتِقادِها

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/59، والقاسميّ، محاسن التَّأويل: 5/390.

(2) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 10/368، والرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/28، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/438.

سِرُّ العُدُول عن عبارة: (الَّذِينَ أوتوا الكِتابَ):

لم يَلتَزِم اليهودُ ولا النَّصارى بمتطلَّبات وَصْفِهم بأهل الكتاب

عَدَلَ القرآنُ الكريم عن عبارة: (الَّذِينَ أوتوا الكِتابَ)، كما في الآية السَّابقة، إلى ذِكْر الفريقين: ﴿ٱلۡيَهُودُ﴾ و﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، ومجموعُهما: (أهل الكتاب)؛ لبشاعة الجُرْم الذى ارتكبه كلُّ فريقٍ منهم؛ فهم وإن جمعهم وَصْفُ الكتاب، إلَّا أنَّ بينهما خلافًا في المعتَقَد؛ فاليهود يقولون: عزيرٌ ابن الله، والنَّصارَى يقولون: المسيح ابن الله، وفي هذا دليلٌ على أنَّ كلَّ فريق يتحمَّل عاقبة جُرْمِه.

تَوْجيهُ القِراءاتِ في قوله: ﴿عُزَيۡرٌ﴾:

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِلْقِراءاتِ القُرْآنيَّةِ، مفيدٌ في تجلِيَة المعنى ودقَّتِه

قُرِئَتْ كلمَةُ: ﴿عُزَيۡرٌ﴾ مِن قولِ الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ بوجْهَيْنِ؛ أحدهُما: بالتَّنوين، وقد قَرأَ بهذا عاصِمٌ والكِسائيُّ وَيَعْقوبُ. والآخَرُ: بحذفِ التَّنوين، وقرأَ بِهِ باقي العَشَرَة[1].

فتَرْكُ تَنْوين ﴿عُزَيۡرٌ﴾ على أنَّ كلمَةَ ﴿ٱبۡنُ﴾ صفةٌ، والخبرُ محذوفٌ، والتَّقديرُ: قالتِ اليهودُ عُزَيْرُ ابنُ اللهِ معبودُنا[2]، وعلى تنوينِه، يكونُ ﴿ٱبۡنُ﴾ خبرًا، ولا حذْفَ في الجُمْلَةِ، وحُذِفَ الخبَرُ على الوَجْهِ الأوَّلِ؛ لشَناعتِه، كما ذكَرَ أهلُ العِلْمَ نظيرَ ذلك في قول الله سبحانَه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [الأعراف: 152]، أيْ: معبودًا، وحُذِفَ لبشاعَتِه وشناعَتِه.

سِرُّ تقديمِ مقولةِ اليهود على مقولة النَّصارى:

مراعاةُ التَّرتيب الزَّمانيِّ في سرد الأحداث وتحليلها

قدَّم القرآنُ الكريم مقولةَ اليهود الشَّنعاء، في زعمهم بُنُوَّة عُزَير لله، على مقولة النَّصارى في بُنوَّة عيسى لله، مع اشتراكهما في هذا الزَّعم الكاذب؛ مراعاةً للتَّرتيب الزَّمنيِّ، لأنَّ اليهود أسبق في الوجود مِنَ النَّصارى.

(1) ابن الجزريّ، النَّشر في القراءات العشر: 2/279.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/29.

شُبهَةُ اليهودِ في زعمهم بُنوَّة عُزَير لله:

إلصاقُ وَصْف البُنوَّة بالله، يتناقض مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقين

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، تعدَّدت أقوالُ المفسّرين في سبب زعم اليهود هذا؛ فمنهم مَن قال: إنَّ الله بعثه مِن بين الموتى، بعد أن أماته مئةَ عام، يُشير إلى ذلك قولُه تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾ [البقرة: 259]؛ فاعتَبَروا هذه المعجزةَ دليلًا على بُنوَّته، ومنهم مَن قال: إنَّ التَّوراة قد ضاعت أيَّام الأسر البابليِّ، وضاع أكثرُها مِن علمائهم، ووقعوا في حَيْرة وقلق، بعد أن أعادوا بناء الهيكل، وكان الهيكل في نظرهم أشبَهَ بجسدٍ لا رُوحَ فيه، وهم في هذه الحيرة، طلَعَ عليهم عزيرٌ، وقال لهم: إنَّ الله قد ملأ صدرَه نورًا، فإذا التَّوراةُ محفوظةٌ في قلبه، تجري كلماتُها على لسانه، ثمّ جمع أحبارَهم، وأملى عليهم التَّوراةَ مِن حِفْظِه، إلى غير ذلك من الرِّوايات[1].

بطلانُ زَعْمِ النَّصارى بُنوَّة عيسى لله:

ميلادُ عيسى معجزةٌ باهرةٌ، ولكنَّها لا تستعصي على قدرة الله القاهرة

أخبر الله تعالى عن مقولة النّصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام، فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ﴾، فقد زعم النَّصارى بُنوَّةَ عيسى ابن مريم لله؛ لأنَّه وُلِدَ مِن رَحِم امرأةٍ لم تتَّصل برَجُل، وجهلوا أنَّ هذا الميلاد، وإن كان عجيبًا خارجًا على مألوف الحياة، فإنَّه ليس خارجًا عن قدرة الله التي لا يُعجزُها شيءٌ، ولا يُقيِّدها قيد[2]، وهم قد قالوا ذلك بأفواههم، و"لم يقيموا عليه حجَّةً، ولا برهانًا، ومَن كان لا يُبالي بما يقول، لا يُستَغْرَب عليه أيُّ قولٍ يقولُه، فإنَّه لا دِينَ ولا عقلَ يحجزُه، عمَّا يريد مِنَ الكلام"[3].

سِرُّ التَّعبير بلفظ: (الابن)، دون: (الولد):

لا يَصِحُّ التَّعبيرُ في حَقِّ الله ﷻ، بالابن أو الولد؛ لتَنزُّهِه عن كلِّ

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 8/245، والخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 4/440.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 8/245، والخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 4/440.
(3) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 334.

ذلك، أمَّا زَعْمُهم في اختيار لفظ البُنوَّة، باعتبار أنَّ لفظ (الابن) يُذْكَر على سبيل التَّشريف، فهذا زعمٌ باطل؛ لأنَّ التَّشريف الحقيقيَّ في تنزيه المولى سبحانه عن الابن والولد والصَّاحبة؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورى: 11].

تتجلَّى قُدسيَّة مقامِ الأُلوهيَّة، في تنزيه اللهِ تعالى عن الولد

عِلَّةُ فَصْلِ قوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ عمَّا قبله:

فُصِلَ قولُ الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ عمَّا قبله؛ لوقوعِه استئنافًا بيانيًّا، وذلك أنَّ اللهَ سبحانَه لمَّا حكَى مقالَةَ اليهودِ والنَّصارى، في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ﴾؛ أَوْرَثَ ذلك سؤالًا في نُفوسِ المُتَلَقِّينَ، وهو: فما حقيقةُ هذه المقالَةِ؟ فجاء الجوابُ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾؛ للإشْعارِ بأنَّها مقالَةٌ قالوها مِن قِبَلِ أنفُسِهم، ليس لها وَجْهٌ مِنَ الصِّحَّةِ والاعتبارِ.

شَناعَةُ مَقالَةِ أَهْلِ الكِتابِ في جَراءَتِهِمْ على مَقامِ الأُلوهيَّةِ

سِرُّ تَعْريفِ المُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالْإِشارَةِ:

عُرِّفَ المسنَدُ إليه بالإشارَةِ، في قول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾؛ لتَتميَّزَ مقالَتُهُمْ أَكْمَلَ تَمْييزٍ؛ إذِ الإشارَةُ في ﴿ذَٰلِكَ﴾، إلى ما تقدَّمَت حكايتُهُ عَنْهُمْ، مِن مقالَةِ الكُفْرِ، ونِسْبَةِ الولَدِ إلى اللهِ سبحانَه، فإذا تميَّزَتْ مقالَتُهُم؛ تبيَّنَ ما ترتَّب عليه مِنَ الجزاءِ المذكورِ بَعْدُ، أَبْلَغَ بيانٍ.

تَمْييزُ مَقالَةِ أَهْلِ الكِتابِ؛ لإحقاقِ الحقِّ، وإبطالِ الباطلِ

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ الدَّالِّ على البُعْدِ:

جاءَ التَّعبيرُ باسْمِ الإشارَةِ الدَّالِّ على البُعْدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾، في قول اللهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾؛ للإشارة إلى ما صدر عنهم من العظيمتين؛ (وهما القول ببُنوَّة العُزَير، وبُنوَّة عيسى ﷺ لله سبحانه)، وفيه إيماءٌ إلى عظَمَةِ مقالَتِهم في الكُفْرِ وشَناعتها، وإيذانٌ ببُعْدِ درجَتِها في الفظاعَةِ، وبُعْدِها مِنَ العُقولِ، وتكذيبها لِلْمَنْقولِ[1].

مَقالَةُ أَهْلِ الكِتابِ بعيدةٌ عنِ المعقولِ، مناقضةٌ لِلْمَنْقولِ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/438، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/59.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالْأَفْواهِ:

مَـقـالَـةُ أَهْـلِ الـكِـتـابِ قـولٌ بالأفواه، مُجرَّدٌ مِنَ البُرْهانِ على ألوهيَّة غيرِ الله

جاءَ التَّعبيرُ بالأَفْواهِ في قوله سبحانَه: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ مع أنَّ كلَّ قولٍ إنَّما يُقالُ بالفَم، وَفي ذلكَ نِكاتٌ[1]؛ إحْداها: الإيماءُ إلى بُطلانِ هذهِ المقالَةِ، وأنَّها مقالَةٌ لا تُجاوِزُ في حقيقَتِها الأفواهَ إلى العقولِ؛ لأنَّه لا يَتَصوَّرُها أيُّ عاقلٍ؛ فهي مجرّد كلام يُلْقَى على عواهنه، مِن غير أن يُحتَكَمَ فيه إلى عقل أو منطق. وثانيها: سُقوطُ هذه المقالَةِ، وأنَّها مقالَةٌ مُهْمَلَةٌ مجرَّدَةٌ عنِ البُرْهان، فهي بمنزِلَةِ أصواتِ البهائِمِ العُجْمِ، فلا يتحقَّقُ لها أيُّ معنًى. وثالثُها: تأكيدُ نسبَةِ القَوْلِ المذكورِ إليهم، وأنَّه صادِرٌ منهم حقيقةً، فلم يَحْكِه أحدٌ عنهم، أو ينطق به شاهد الحال عليهم، إنَّما هو قولٌ قالوه بأفواههم، لا يستطيعون دفعَه أو إنكاره[2]. ورابعُها: الإشْعارُ بأنَّ هذا القولَ مختارٌ لهم قَصْدًا، وأنَّه قد بلَغَ بهِمُ الإجْرامُ إلى أنَّهُم لا يتحاشَوْنَ التَّصريحَ بهِ، وذلك أنَّ المَرْءَ رُبَّما يُنبِّهُ على مَذْهَبِهِ كِتابَةً أو كنايَةً، فإذا صرَّحَ وذَكَرَهُ بلسانِه؛ كان ذلك غايةً في التَّنويه، باختيارِهِ وقَصْدِهِ إليه. وخامسُها: الإشارةُ إلى أنَّهَمُ دَعَوُا الخَلْقَ إلى قولهم هذا، حتَّى تداولَتْهُ الأفواهُ والألسِنَةُ.

بلاغة المجاز المُرسل:

التَّعبيرُ بلفظ: (الأفـواه) على (الألسـن)، مِن دِقَّة السِّياق

مَن يقرأ القرآنَ الكريم، يجد في بعض الآيات إسنادَ القولِ للألسُن، كما في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 11]، وفي بعضها يُسْنَد للأفواه، كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 167]، وكما هنا في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، ومعلوم أنَّ اللِّسان جزءٌ مِنَ الفَم، فأَطْلَق الأفواهَ وأراد

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/264، والرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/29 - 30، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/438 - 439، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/59، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/275، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3281.

(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 5/741.

الأَلسُنَ، وهذا مجاز مرسلٌ علاقتُه الكليَّة، حيث أُطلِق الكلُّ، وهو الأفواه، وأُريدَ الجزءُ، وهو الألسُن، ولعلَّ السِّرَّ في ذلك إبرازُ حرصِهم على ما يقولون، ومحاولةُ إظهارِ أنَّهم على الحقِّ، فيستجمعون هذا القولَ الكاذبَ في جميع أفواههم؛ فكأنَّ كلَّ جُزءٍ مِنَ الفَم عند كلِّ فَرْدٍ منهم، يتكلَّم بهذا الكذب، وليس اللِّسانُ وحدَه.

دلالةُ (الباء) في قوله: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾:

دلَّتِ الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، على شِدَّة الالتصاق؛ فكأنَّ أفواهَهم لا تنطِق إلَّا بهذا القول، وفي هذا تصويرٌ لشِدَّة التِصاقِ اللِّسان بالأفواه، وما يردِّدُونَه هو "قول تُردِّدُه أفواهُهم بألسنتهم، ولا يُدركونَ له حقيقةً يتصوَّرُونها، فهم يُردِّدُون: الواحدُ ثلاثةٌ، والثَّلاثةُ واحدٌ، وإذا سألتَهم عن مميِّزات كلِّ واحدٍ، وكيف يجتمعون، لم يَحِيْرُوا جوابًا إلَّا أن يقولوا: هذه غيبيَّاتٌ يُصَدِّقُها العقلُ الدِّينيِّ، ولا يُصَدِّقُها العقلُ والمنطقُ"[1].

مَن أوغلَ في الضَّلال وأسرفَ، صار يَهرِف بما لا يَعرِف

عِلَّةُ فَصْلِ قولِه: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عمَّا قبلَه:

فُصِلَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ عمَّا قبلَه؛ لوقوعِه استئنافًا بيانيًّا، فبينَ الجُمْلَتين شِبْهُ كمالِ الاتِّصال، ووَجْهُ ذلك: أنَّ قولَ اللهِ سبحانَه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ يَبْعَثُ في نَفْسِ المُتَلَقِّي سؤالًا، وهو: ما لهم إذا كان هذا حالَهُم فيما قالوه؟ فجاء الجوابُ في قوله ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾.

انحرافُ أَهلِ الكِتابِ، مع نَصاعةِ الهُدى وبُروزِه

سِرُّ التَّعبيرِ بقوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾:

عبَّر القرآنُ الكريم بالفعل: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾؛ للدّلالة على أنَّهُم قومٌ طُبِعوا على التَّشبُّهِ بِمَنْ يَفْعَلُ المفاسدَ، كما أنَّهم حاكَوْا عبدَةَ الأوْثانِ، فانحرَفوا عَنِ الهُدَى، والأنبياءُ بينَ أظْهُرِهِم، يَدْعونَهُمْ إلى الحقِّ،

التَّشبُّهُ بالضَّلال مَفسدةٌ في الأقوال والأفعال

(1) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 5/741.

وكتابُهُم يُنادي بمثل ذلك[1]، "ولا شَكَّ أنَّ وصفَ الذين كفروا ينطبق عليهم، وهم يشابهونهم في أنَّهم أشركوا في العبادة غير الله، كما أشرك أولئك الأوثان"[2].

دلالَةُ الإيجازِ بالحذف:

مُبالَغَةُ أَهْلِ الكِتابِ في مُحاكاةِ ضلالاتِ المُشْرِكينَ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ إيجازٌ بالحذْفِ، والمعنى: يُشابِهُ قولُهُم قولَ الذين كفَروا؛ لظهورِ أنَّ المقصودَ ليس مشابَهَةَ ذواتِهِم لمقالَةِ الكُفَّارِ، وإنَّما مشابهَةُ القولِ القَوْلَ، فحُذِفَ المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مُقامَهُ[3]، ونُكْتَةُ الإيجازِ: الإيماءُ إلى مبالغَتِهِمْ في محاكاةِ طريقةَ المُشْرِكينَ.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بِجُملة الصِّلَةِ:

أَهْلُ الكِتابِ سائِرون في طَريقِ الكُفْرِ، غالُون في مسالكه ودُروبه

في التَّعبير بالاسْمِ الموصولِ وصِلَتِه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، زيادَةُ تشنيعٍ لمقالَةِ أهلِ الكتابِ، وأنَّ الذي حمَلَهُمْ على تلك المقالَةِ، هو الكُفْرُ ومُشابَهَةُ أهْلِهِ، وأنَّهُمْ سائِرونَ في طريقِ الكُفْرِ، غالونَ فيه.

سِرُّ مجيءِ جُمْلَةِ الصِّلَةِ فِعْلًا ماضيًا:

ثُبوتُ كُفْرِ أَهْلِ الكِتابِ، بالأقاويلِ والمُضاهاةِ والغِلَابِ

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، جاءتْ جملَةُ الصِّلَةِ فِعْلًا ﴿كَفَرُواْ﴾ في قول اللهِ ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ﴾؛ للدّلالَةِ على تجدُّدِ الكُفْرِ فيهم، وأنَّ كُفْرَ أهلِ الكِتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارى الذين قالوا تلك المقالَةَ الشَّنيعَةَ، متجدِّدٌ فيهم كَتَجَدُّدِهِ فيمَنْ ضاهَوْهُ، وفي الإتيانِ بجملَةِ الصِّلَةِ فِعْلًا ماضيًا إشعارٌ بأنَّ وَصْفَ الكُفْرِ ثابتٌ لهم، مُتَحَقِّقٌ فيهم.

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الكُفْرِ:

مُنتَهى الكُفْرِ التَّكْذيبُ بجميعِ ما أَوْجَبَ اللهُ تعالى الإيمانَ به

حُذِفَ مُتَعلَّقُ الفعلِ (كَفَروا) مِن قولِ اللهِ سبحانَه: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ وهو المَكْفورُ بِهِ؛ لإرادَةِ العُمومِ؛ وذلك

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/439.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3281.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/59، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/275.

لأنَّ حَذْفَ المَعْمولِ مُؤذِنٌ بذلك، والمعنى: كفَروا بِجَميعِ ما يَجِبُ أن يُؤْمِنوا به شَرْعًا.

دلالَةُ المراد باسْمِ المَوْصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

تَعَدُّدُ المرادِ باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مِن قول اللهِ ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ فذهب قومٌ إلى أنَّها لِلْعَهدِ، والمرادُ بهُ: ناسٌ مَخْصوصونَ، وهُمْ مُشْرِكو أهلِ مكَّةَ وأمثالُهم؛ الذين زعموا أنَّ المَلائِكَةَ بناتُ اللهِ تعالى، أوِ المُرادُ بهم: قُدَماءُ أهلِ الكتابِ، والمعنى: أنَّ اليهودَ والنَّصارى الذين كانوا في عصْرِ النَّبيِّ ﷺ شابَهَ قولُهم في عُزَيْرٍ وعيسَى، قولَ آبائِهِم الأقْدَمينَ، فوَرِثوا الكُفْرَ كابرًا عَنْ كابرٍ، وذهب بعضُهم: إلى أنَّها لِلْجِنْسِ الدَّالِّ على العُموم، والمرادُ: جميعُ الأممِ التي ضلَّتْ وانحرفَتْ عنِ الهُدَى والحقِّ، وأشْرَكَت مع اللهِ تعالى غيْرَهُ، وهذا الوَجْهُ أَوْلَى[1].

الكُفْر ما يَرِثُه أغْرارٌ مِنَ الأخْلاف، عن سُفهاءَ مِنَ الأسلاف

دلالَةُ (مِنْ)، في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾، (مِنْ) أفادَتْ مَعْنَيين؛ أحدُهُما: توكيدُ المعنى وتَقْوِيَتُهُ، وهذا هو المعنى الغالِبُ على (مِنْ) الواقِعَةِ مع (قَبْلُ) و(بَعْدُ). والآخَرُ: الإيماءُ إلى كُفْرِهم لم يسْتَغْرِق الزَّمَنَ السَّابقَ، فمعنى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: الذين كَفَروا مِن قَبْلِ أَنْ يحْدُثَ منهم هذا القولُ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ مُشْرِكي العرَبِ قد غَيَّروا دينَ إبراهيمَ[2] عليه السلام.

تَغْييرُ مُشْرِكي العَرَبِ دينَ إبْراهيمَ عليه السلام، حقيقةٌ لا ريبَ فيها

دلالَةُ الخَبَرِ في قوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾:

جُمْلَةُ: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾، خَبريَّةٌ في لَفْظِها، والمُرادُ بها: الدُّعاءُ، ثمَّ كَثُر استعمالُهم لها، حتَّى قالوها على جهة التَّعجُّب في الخير والشَّرِّ، وهم لا يريدون الدُّعاء، فالجُمْلَةُ مجازٌ مُرسَلٌ مُركَّبٌ، وفيها

الدُّعاءُ على أهْلِ الكِتابِ بالإهْلاكِ، والتَّعَجُّبُ مِن شَناعَةِ مَقالَتِهم

(1) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 6/259.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/439.

دعاءٌ عليهم بالإهْلاكِ وأنواعِ الشُّرورِ، وتعجُّبٌ من شناعَةِ مقالَتِهِمْ وفظاعَتِها[1]، فهم أحقَّاء بأن يُقال لهم هذا، وصيغَةُ المُفاعلَةِ: ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ يُرادُ بها المُبالَغَةُ في الدُّعاء، والمُراد: قَتَلَهُم اللهُ قَتْلًا شَديدًا[2]، فهي ليست من باب المفاعلة[3].

نُكْتَةِ تَعْريفِ المُسْنَدِ إليه بالعلميَّةِ:

الدُّعاءُ بمقاتلة اللهِ للمارقين، يُفْضِي إلى مصيرٍ مَهين

عُرِّفَ المسنَدُ إليه بالعلَميَّةِ، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لبيانِ عَظَمَةِ هذهِ المُقاتَلَةِ وشِدَّتِها، إذْ هي مقاتَلَةُ المَلِكِ الأَعْظَمِ الذي جمع صفاتِ الجَلالِ والكَمالِ، وله الإحاطَةُ عِلْمًا وقُدْرَةً؛ ومَن قاتَلَهُ لَمْ يَنْجُ[4].

دلالَةُ الاسْتِفْهامِ:

التَّعَجُّبُ والتَّعْجيبُ مِنْ حالِ أَهْلِ الكِتابِ في اتِّباعِ الباطِلِ

قولُ اللهِ سبحانَه: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ جملَةٌ إنشائيَّةٌ استفهاميَّةٌ، ولا يُرادُ بها حقيقتَها؛ من طَلَبِ العِلْمِ بشيءٍ لم يكُنْ معلومًا من قبلُ، فإنَّ اللهَ ﷻ محيطٌ بكلِّ شيءٍ عِلْمًا، وإنَّما خرجَ هذا الاسْتِفْهامُ عن أَصْلِهِ إلى معنى التَّعجُّب والتَّعجيبِ من حالِهم في الاتِّباعِ الباطِلِ، حتَّى كأنَّ المكانَ الذي يُصْرفونَ إليه بعَقيدَتِهم الفاسدَةِ، بمنزِلَةِ المكانِ المجهولِ الذي من شأْنِهِ أن يُسأَلُ عَنْهُ باسْمِ الاستفهامِ عَنِ المكانِ[5].

سِرُّ التَّعبيرِ بقوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ دون (يُصْرَفونَ):

استخدم القرآنُ لفظَ: (الإفك) في الذَّمِّ والتَّقريع والتَّوبيخ

جاء التَّعبيرُ بلفظ: (الإفك) دون (الصَّرف)؛ لأنَّ الإفكَ كَذِبٌ يقلِبُ الأوضاع ويقلب الحقائق، ويُقال: أَفِكَ الرَّجلُ عن كذا، إذا عَدَلَ عنه، ومنه: الأَفَّاكُ الذي يصرِف النَّاسَ عنِ الحقِّ، بخلاف الصَّرف، فيُستعمَل في القرآن في مطلق التَّحويل والتَّنقُّل من حالٍ

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 5/403، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/60، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/275 - 276.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/169.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 5/32.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/441.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 5/403، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/169.

إلى حالٍ، وعلى هذا، فالإفكُ يختلف عنِ الصَّرف، في أنَّه مِن فصيلة الكذب، وهذا هو المناسبُ لسياق الآية؛ لأنَّ اليهود والنَّصارى كذبوا في زَعْمِهم هذا، بل وقلبوا الحقائقَ، فجعلوا ما للبشر مِنَ الولد للّه سبحانه، وهذا كُفْرٌ بَواحٌ، وممَّا يؤكِّد الفرقَ بينهما، أنَّ القرآن استخدم الإفكَ في مواضع الذَّمِّ والتَّقريع والتَّوبيخ، وهذا واضحٌ في آيات القرآن الكريم؛ بخلاف الصَّرف[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

أَفَكَ وصَرَفَ:

الإفْكُ أَخَصُّ مِنَ الصَّرف؛ وهو صَرْفٌ وتحويلٌ، باستعمالِ الإفكِ وسيلةً لذلك

وَرَدت مادَّة (أفك) في السِّياقاتِ القرآنيَّةِ، في ذَمِّ الكفَّار والمكذِّبين، كما في قولِ اللّه سبحانَه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: 75]، وقولِه تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: 30]، وقولِه ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذّاريات: 7 - 9]، ووردَت هذه المادَّةُ كذلك في موضعٍ واحدٍ، حكايةً لقولِ الكُفَّار في مخاطبتهم هودًا عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأحقاف: 22]، وذلك لكونِهِمْ كانوا مُكذِّبين له، كما يَدلُّ عليه آخرُ الآية: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، في حين أنَّ الصَّرْفَ استُعمِلَ في القرآن الكريم لمُطْلَقِ التَّحويلِ والرَّدِّ، وأُسْنِدَ ذلك إلى اللّه سبحانَه، كما في قولِه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن

(1) الرَّاغب، المفردات: (أفك، صرف).

يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: 152]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: 24]، وفي هذه المواضِعِ وغيرِها لا يجوزُ أنْ يَرِدَ فيها لَفظُ الإفكِ بدلًا مِنَ الصَّرْفِ؛ لأنَّ المقصودَ في جميعِها ردُّ الشَّيءِ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، أو إبدالُهُ بغَيْرِهِ، وليس فيهِ تَقْييدُهُ بوصفِ الكذِبِ، كالتي وردَ فيها لفْظُ الإفْكِ[1].

(1) محمَّد داود، معجم الفروق الدلاليَّة في القرآن الكريم، ص: 62 - 64.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»